على الوقت الثمين وما لم يذكر فيها يثبته العيان وساعود الى الكلام في هذا الموضوع ان شاء الله في وقتٍ لا يشغلني فيهِ عن خدمة الوطن شاغل غير مكترثٍ بما يقول العاذلون وحسبنا الله وهو نعم الوكيل

تاريخ بابل واشور

لجناب جميل افندي نخله المدور (تابع ما قبله)

وعاد سنحاريب بعد ذلك فلمَّ شعث دولتهِ وجدد رونق ملكهِ ولما استجمعت لهُ اسباب العزة والصولة جرَّد حملة وسار بها الى بابل مدينة الفتن فواقعها مرةً أُخرى . وكان السبب في ذلك ان سنحاريب لما قهر بابل في النازلة الاولى ولى عليها رجلاً من اوليائهِ يقال لهُ بعليبوس فاستمرَّ امرها في يدهِ الى ان كانت نكبة سنحاريب عند اورشليم وعاد بالفشل والخسران فاغتنم مرودخ بلادان تلك الفترة وحدثتهُ نفسهُ باسترجاع الملك فاخذ في اسباب ذلك وحشد اولياءهُ واتباعهُ وزحف على بابل بجمعٍ كثير فاستبشر البابليون بعودتهِ وتغيروا عن طاعة بعليبوس وجاهروا بالفتنة والهرج واتصل الامر بسنحاريب فبادر بعَدَدهِ وعُدَدهِ ودهم بابل بجيشٍ لا يحصى فبرز اليهِ مرودخ في طليعة اصحابهِ والتحمت الحرب بين الفريقين اياماً وآخر الامر كانت الغلبة لسنحاريب فانهزمت جيوش الكلدان وتمزَّق سوادهم بعد ان هلك منهم خلقٌ كثير وفرَّ مرودخ بلادان وغمض خبرهُ آخر الدهر . ثم دخل سنحاريب بابل فاستأصل منها اعراق الفتنة ومهَّد السكينة والطاعة واستخلف عليها والدهُ اشور ناردين وهو بكر ابنائهِ

ولما فرغ سنحاريب من امر بابل وجَّه غارتهُ ناحية المشرق فاممن في البلاد ووطئ من الاقاليم ما لم يبلغ اليهِ احدٌ ممن سلفهُ حتى انتهى الى دنايي فدوَّخ تلك الارض جملةً واكثر من اراقة الدماء واتيان الفظائع وشنَّع وسبى ونهب وهدم كثيراً من المدائن والمعاقل وضرَّم عامَّتها بالنار . ولهُ على بعض الآثار في ذكر هذه الغزاة ما تعريبهُ اني ملكت الرجال والدوابَّ والغنم والبقر وافتتحت المدائن والقُرى ولم افارقها حتى غادرتها حطاماً

واستقرَّت البلاد بعد ذلك برهةً طويلة صماءَ عن زعازع الحروب وقديد الجيوش وصلصلة الحديد واستولت فيها الدعة والسكينة وعلا طالع سنحاريب الى اوج سعدهِ وعظم قدرهُ في العيون والمسامع وتمكنت هيبتهُ في القلوب ووقع اجماع المؤرخين على انهُ لم يقم في ملوك اشور من ضاهاهُ سطوةً واقداماً ولا داناهُ عزَّةً وسلطاناً . وفي تلك الاثناء فتق لهُ عقلهُ ان يجدِّد بناء نينوى ويجعلها بحيث لا تقارنها مدينة في العالم فشرع في حشد ارباب الصناعة من البنائين

والنجارين والنقاشين وغيرهم وشيّد فيها من المباني العظيمة والهياكل الرفيعة والقصور الانيقة والبروج الحصينة ما لا يتأتى لاحدٍ وصفهُ وزينها جميعها بالزخارف البديعة والنقوش الجميلة حتى فاقت ما كانت عليهِ من قديم حالها . وقد تقدم لنا عند وصف هذه المدينة زيادة بيان فاقتصرنا ههنا عن المزيد

ولما كانت سنة ٦٩٣ توفي اشور ناردين بن سنحاريب فخلفهُ على سرير بابل اجيبعل وكانت مدة استيلائهِ عليها حولاً واحداً ثم دهمتهُ المنية فافضى الامر بعدهُ الى مزيزي مرودخ وكان بابليّ الاصل فتفاقمت على عهدهِ البلابل والمشاغب وجعلت اسباب الفساد تتزايد على الايام حتى اشتدّ الخطب وتخوّف سنحاريب سوء العاقبة فلم يبقَ في رأيهِ الاّ ان يستأنف الكرّة عليهم ويبطش بهم مبادرةً لامتداد الفتنة قبل اتساع الخرق والعجز عن تلافيهِ . وكان الفريق الاقوى ممن خرجوا عن طاعتهِ طوائف من الكلدان على اطراف البلاد ما يلي خليج فارس فبدّاهم بالحملة وفرّق عصائبهم ونكب زعماءهم ومثّل بهم تمثيلاً فظيعاً وجال في تلك الانحاء فاكثر فيها الدمار واراقة الدماء وهدم المدائن والصياصي حتى ترك البلاد بسيطاً غامراً . وبينما هو مشتغلٌ بامر هولاء زادت الفتنة احتداماً في بابل وانتهزوا منهُ تلك الفرصة فاجتمع لفيفهم وبايعوا بالملك عليهم رجلاً منهم يقال لهُ سوزوب وانفذوا الى كدرناكتا ملك عيلام يستنجدونهُ على سنحاريب فما كذّب ان اجابهم بالجيش والسلاح وانضمّوا كلهم يداً واحدة وزحفوا لمنازلة سنحاريب فكانت حرباً هائلة تطاير شررها في الآفاق وكثرت فيها المصارع والدماء وما زال السيف يعمل في الجيشين حتى اجلت العاقبة عن فشل الكلدان فانهزموا شرّ هزيمة وتبعهم سنحاريب بجنودهِ فاقتفى منهم خلقاً لا يحصى وقبض على سوزوب وساقهُ اسيراً الى نينوى

وبعد هذه الواقعة ركب سنحاريب وسار الى عيلام لينتقم من كدرناكتا فاوغل في البلاد واثخن فيها ودمّر حتى رجفت منهُ الفرائص وطأطأت لهُ المناكب وجعل لا يمرُّ بمدينةٍ الاّ استسلم اهلها في وجههِ وغدا اعزّتهم اذلّة بين يديهِ حتى بلغ جملة ما افتتحهُ اربعاً واربعين مدينةً من المدائن الكبيرة . ولسنحاريب على بعض الآثار يصف غارتهُ هذه من جملة كلام ما تعريبهُ . وسطع من تلك الآفاق دخانٌ متواصل ملأ السماء والارض وطبّق سحابهُ البسيطة وكان للنيران اجيجٌ وزفيرٌ اشبه بزمازم الرعد . ولما بلغ كدرناكتا تقدّم بأسي عليهِ طارت نفسهُ شعاعاً حتى اذا ازدلفتُ من عاصمتهِ وعصمّت بهِ ربحي من كل اوب اعتصم بالفرار من وجهي وتوارى في قاصية ارضهِ فشدّدت الحصار على مدينتهِ وصممت على اخذها . اهـ . ولم يأتِ على هذا الاثر زيادة على ذلك لكن ورد على غيرهِ من الآثار انهُ بعد ذلك عدل عن اخذ المدينة ورفع عنها الحصار

وانقلب راجعاً الى نينوى وذلك لانهُ وجد ادلّة التجيم ما ينذرهُ خوف العاقبة فرضي من الغنيمة بالاياب

وبعد نحو ثلاثة اشهر من سفرهِ كدرنا كتبنا ادركتهُ المنية فبايع العيلاميون اخاهُ اومان مينان وكان اومان مينان هذ خليلاً لسوزوب فلما اتاهُ خبر تملكهِ جعل يردّد اليهِ رسلهُ واكثر من صلتهِ حتى احتال لهُ في النجاة من قبضة سخاريب وكان لم يزل محبوساً في نينوى فلما اقلت من محبسهِ انطلق الى عيلام فرحّب بهِ اومان واحسن مثواهُ وحقق آمالهُ وعقد لهُ على جيش كثيف من العيلاميين فزحف بهم سوزوب على بابل والتفّ عليهِ اقوامٌ من البابليين فاصبحوا عصبةً منيعة . فلما رأى سخاريب ذلك جنّد جنودهُ وخرج عليهم وقاتلهم قتالاً شديداً كان هو الظافر فيهِ ايضاً فكسر شوكتهم وفضّ جموعهم وفتك فيهم فتكاً ذريعاً . ولهُ على بعض الآثار في تفصيل هذه الموقعة ما ملخصهُ . لما فوّض البابليون امرهم الى سوزوب التى يدهُ على كنوز الهرم وابتزّ ما في هيكل بعل وزربانيت من الفضة والذهب وبعث بذلك هديةً الى اومان مينان ملك عيلام في سبيل الاستمالة لهُ والتقرّب منهُ ووجه اليهِ يسالهُ المظاهرة عليّ ويتظلم اليهِ من استيلاء بطشي ووطأة عزّتي وضرع اليهِ في ذلك اشدّ الضراعة حتى مال العيلاميُّ الى شكواهُ وامدّهُ بالرجال والعُدَد فجعل دأبهُ العيث في البلاد وركوب النظائع من القتل والسبي والنهب واستطال على الناس بالبغي والجور فاستوقد بذلك غضبي واثار من حميتي فنهضت اليهم بجندٍ شديد واتخذت مركبتي الكبرى والقوس التي وهبتها ربي واهطلت عليهم من النبل ما اوشك ان يسدّ الافق كثرةً حتى سالت بدمائهم البطائح وما لبثوا الاّ قليلاً حتى استسلموا الفرار فملأت يدي من غنائمهم واسرت منهم عدداً لا يُحصَى وقطعت ايديهم حتى لا يستطيعوا ان يعودوا الى حمل السلاح . انتهى ببعض تصرف . وكان في جملة من اسرهم نبو بلاسكون بن مرودخ بلادان فاما سوزوب واومان مينان ففرّا بانفسهما الى عيلام

حدثت من برهة حادثة في اميركا تستحق الذكر وهي ان احد القضاة المسمى بالقاضي الدردج حكم على كل المستخدمين في المحكمة ان يحافظوا على اوقاتها والاّ يغرموا بمال وفي احد الايام جاء المحكمة متأخراً قليلاً فقال للكاتب غرّم القاضي الدردج (يعني نفسهُ) لتاخرهِ اليوم فقام المدعي العمومي وغيرهُ من المحامين وحاولوا تبريرهُ من الغرامة بادلة كثيرة فاقصدها كلها وحكم على نفسهِ بالغرامة . متى يروى عن قضاتنا كما يروي الافرنج عن قضاتهم